

19

النهى عن الولاء للكافرين

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى

طبع ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



قالَ (تعـالَى) :

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[سورة آل عمران : ٢٨ ، ٢٩]

كـانَ الْيـهـودُ بـالْمـدينَةِ الْمنورَةِ ضِعـافًا لا يَقْدِرُونَ على مُواجَهَةِ الْمُسْلمينَ ، ولِذلكَ فقَـدْ لَجَئُـوا إِلى الْحِـيَلِ الْمُخْـتلفَةِ وحـاوَلوا

اسْتِمَالَةَ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ والتَأْثِيرَ عَلَيْهِمْ ، كَمـا تَحَالَفُوا مَعَ الكُفَّارِ والْمُنَافِقِينَ ضِدَّ الْمُسْلِمِين .

وكانَ الْيَهودُ يذْهَبُونَ إِلَى زَعِيمِ الْمُنَافِقِينَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أُبَى بْنِ سَلُولٍ وَيَقُولُونَ لَهُ :

ـ إِنَّ هَدَفَنا واحِدٌ ، وهُوَ التَّخَلُّصُ مِنْ مُحمدٍ وأَصْحَابِهِ ، ولِذلكَ يَجِبُ أَنْ نَتعاوَنَ مَعًا لِتَحْقِيقِ هذا الْهَدَفِ . فَيَرُدُّ عبْدُ اللَّهِ بنُ أُبَىِّ بْنِ سَلُولٍ بِقَوْلِهِ :

ـ عَلَيْكُمْ أَنْ تُخَطِّطُوا وعَلَيْنا أَنْ نُنَفِّذَ ، فما الْمَطْلوبُ مِنَّا ؟

فيقولُ الْيهودُ :

ـ الْمَطْلوبُ مِنكُمْ أَنْ تأْتُونا بأَخْبارِ مُحَمدٍ وأَصْحَابِهِ ، وَمَا ينْوُونَ الْقِيامَ بهِ فى الأَيَّامِ الْمُقْبِلَة .

فيقولُ عبدُ اللّهِ بن أُبىّ :

ـ إِنّا مُنْتَشِرُونَ فى الْمَدِينَةِ وبَيْنَ أَصْحَابِ مُحمدٍ ، وسوْفَ نُزَوِّدُكُمْ بالأَخْبارِ ، عَسَى أَنْ تَظْفَرُوا عَلَيْه وتُخَلِّصُونَا مِنْهُ ومِنْ أَصْحابِهِ .

وكمَا فعَلَ الْيهودُ مَعَ الْمُنافِقِينَ فَعَلوا مع الْمُشْرِكين والْكُفَّارِ فقالُوا لهمْ :

ـ نَحْنُ أَهْلُ كِتَابٍ ، وإِنَّ مُحمدًا لَيْسَ هوَ النَّبِيَّ الذى يَظْهَرُ فى آخِرِ الزَّمانِ ، ولِكَيْ نُريحَكُمْ مِنْ كَذبِهِ ، يجبُ أَنْ تُزَوِّدُونَا مِنْ أَخْبارِهِ حتى نَقْضِيَ عَلَيْه .

فيقولُ الْكُفَّارُ والمشرِكونَ :

ـ هذا هوَ ما نَتَمنَّاهُ ، فقدْ فرّقَ كَلِمَتَنَا ، وسفَّهَ عُقُولَنَا ، ونَحْنُ نأْمُلُ أَنْ تتمكَّنُوا مِنَ الْقَضَاءِ عَلَيْه .

وذَهَبَ اليَهُودُ إِلى بَعْضِ الْمُسْلِمينَ مِنَ الأَنْصارِ وحاوَلوا اسْتِمالَتَهُمْ والتَّأْثيرَ عليهم فقالوا لهمْ :

ـ نحنُ منذُ القديمِ نعيشُ معًا في يَثْرِبَ قبْلَ أَنْ يهاجِرَ إِلَيْها رسولُ اللَّه ، وقدْ صارَتْ بينَنَا مودَّةٌ وصداقَةٌ نرجُو أَلا تقْطَعُوهُمَا .

فقالَ الأنْصارُ :

ـ أَنْتُمْ أَهْلُ كِتابٍ ولَكُمْ حُقُوقٌ عَلَيْنَا ، وإِذا كانَ بينَنَا بعْضُ الاختِلافِ ، فإِنَّكُمْ نِعْمَ الأَهْلُ والْعَشِيرَةُ .

ويتظاهَرُ الْيَهودُ بالْوُدِّ والطِّيبَةِ ثمْ يَنْصَرِفُونَ وهمْ يدْعُونَ لِلْمُسْلِمِينَ بالْبَقَاءِ والدَّوامِ .

ومَا إِنْ يَخْلُو الْيَهُودُ بأَنْفُسِهِمْ حتَّى يَقُولُوا لِبَعْضِهِمْ :

ـ أَرأَيْتُمْ ما فَعَلْناهُ معَ أصْحابِ مُحمدٍ ؟ لقدِ اسْتَمَلْنَا قُلُوبَهُمْ نحْوَنا ، وسَوْفَ يَتركُونَ دِينَ مُحَمدٍ عمَّا قريبٍ ويدْخُلُونَ في دِيننا .

وعلِمَ بعْضُ الْمُسْلمين بما حَدثَ مِنْ بعْضِ الأَنْصَارِ مَعَ الْيَهودِ ، وأَنَّهُمْ يوادِعُونَهُمْ ويتَّخِذُونَ مِنْهُمْ أَصْدِقَاءَ مُقَرَّبِي بِرَغْمِ عَدائهم السَّافِرِ لرسُولِ اللَّه ﷺ وتآمرِهِمْ ضدَّ الْمُسْلمين ، فذَهَبُوا إِلَيْهمْ وقالُوا لهمْ :

ـ يا أَنْصَارَ رَسُولِ اللَّهِ ، أنْتُمُ الأَنْصارُ

الَّذين نَصَرتُمُ الرَّسولَ وآويتُموهُ ، كيْفَ تُوَادُّونَ من حَادَّ اللَّهَ ورَسُولَهُ .

فيقولُ الأَنْصارُ :

ـ إنَّنا لا نُوادّهُمْ ، ولَكِنَّهُمْ جيرانٌ لنَا مُنْذُ زَمَنٍ بَعيدٍ ، ولا نَرَى بَأْسًا بِمُجالسَتِهِمْ ومُشَارَكَتِهِمْ في مُنَاسَبَاتِهِمْ .

فَيَرُدُّ الْمسلمونَ :

ـ ولكِنَّنا نخْشَى أَنْ يَفْتِنَكُمْ هَؤُلاءِ الْيهودُ عَنْ دِينِكُمْ ، فهمْ يسْعَوْنَ لِذلكَ ، ولَنْ يَمَلُّوا منَ السَّعْيِ لِتحْقيقِ هذا الْغَرضِ فاحْذَرُوهُمْ .

فيُجيبُ الأَنْصارُ :

ـ إنَّ إيمَانَنا باللَّهِ ربًّا وبِمُحمدٍ ﷺ نبيًّا ورسُولاً ، أَقْوى مِن الْجبالِ ، ولَنْ يَسْتَطيعَ الْيَهودُ بِمَكْرِهِمْ ولا خِداعِهِمْ أَنْ يَفْتِنُونا فى دِينِنا .

وانْصَرَفَ الْمُسْلِمونَ إلَى حالِ سَبِيلِهِمْ ، بعْدَ أَنْ رَأَوْا إصْرَارَ أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ الأَنْصارِ علَى مَوْقِفِهِمْ ، ودَعَوُا اللَّهَ مِن أَعْماقِهِمْ أَنْ يَهْدِيَهُمْ إلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ .

وكانَ الصَّحابِىُّ الْجَلِيلُ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامتِ الأَنْصارِىُّ مِنْ بَيْنِ الصَّحابَةِ

الذينَ كانَ لَهُمْ حُلَفَاءُ مِنَ الْيَهُودِ ، وهو صَحابِيٌّ جَليلٌ ، حَارَبَ مع رسولِ اللَّه ﷺ في شَجَاعَةٍ واسْتِبْسالٍ في غَزْوَةِ بَدْرٍ الكُبْرَى ضِدَّ الْكُفَّارِ والمشركينَ . وقَدْ قالَ الرسولُ ﷺ عَنْ أَهْلِ بَدْرٍ :

ـ ما ضَرَّ أَهْلَ بدْرٍ ما فَعَلُوهُ بعْدَ ذلِكَ .

وجاءَ عبادَةُ بْنُ الصَّامتِ الأَنْصَارِيُّ إلى الرسُولِ ﷺ يومَ الأَحْزابِ فقالَ لهُ :

ـ يا نَبِيَّ اللَّه ، إنَّ مَعِي خَمْسُمائَةَ رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ ، وقدْ رأَيْتُ أَنْ يَخْرُجُوا مَعِي



فاستظهر بهم على العدو ، ويحاربوا معنا ضد المشركين .

وعندئذ نزل قوله (تعالى) :

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[سورة آل عمران : ٢٨ ، ٢٩]

ولا يكاد عبادة بن الصامت يسمع كلام الله (تعالى) حتى يقول :

ـ إنما أتولى الله ورسوله والمؤمنين .

نزل قوله (تعالى) ينهى المؤمنين نهيا

قَاطِعًا أَنْ يُلاطِفُوا الْكُفَّارَ أَوْ يَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ، فَالْمُوَالاةُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ فَقَطْ ، أَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُشْرِكُونَ ، فَلَهُمْ طَرِيقَةٌ أُخْرَى فِى التَّعَامُلِ . إِنَّ الآيَةَ الكَرِيمَةَ تُؤَكِّدُ لِلْمُسْلِمِينَ أَنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ بِيَدِ اللَّهِ (تعالى) ، وَالْقُوَّةَ كُلَّهَا لِلَّهِ ، وَالتَّدْبِيرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ، وَالرِّزْقَ كُلَّهُ بِيَدِ اللَّهِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ وَلاءُ الْمُؤْمِنِ لأَعْدَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَيَفْتِنُونَ الْمُسْلِمِينَ فِى دِينِهِمْ ؟

لَقَدْ نَهَى الْقُرْآنُ عَنْ مُوَالاةِ الْكُفَّارِ نَهْيًا قَاطِعًا ، وَسَمَحَ فَقَطْ بِالتَّقِيَةِ وَهِىَ الْمُدَارَاةُ بِاللِّسَانِ ، وَذَلِكَ فِى أَوَّلِ الإِسْلامِ ،

وعِنْدَمَا كانَ الإِسْلامُ ضعيفًا ، وهى لا تحِلُّ إلاَّ بِسببِ الْخوفِ الشَّديدِ من الْقَتلِ أوِ الإيذاءِ الْعظيم .

ففى بِدايَةِ الدَّعْوةِ الإِسْلاميَّة ، اشْتدَّ الْمشركونَ فى تَعْذيبِ الصَّحابىِّ الْجليلِ عَمَّارِ بْنِ ياسرٍ ، وهدَّدُوه بالْقَتْلِ والْحرْقِ إذا هُوَ لمْ يذْكُرْ آلِهتهُم بِخيرٍ ، وتحْتَ وطْأَةِ التَّعْذيبِ وبِسببِ شدَّةِ الأَلَم خَرَجَت من عَمَّار بعضُ الْكلمات التى تُرْضِى الكُفَّارَ والْمُشْركينَ .

فلمَّا أفاقَ عمَّارُ بْنُ ياسرٍ ، ندمَ أَشَدَّ النَّدمِ ، وذهَبَ إلى رسُولِ اللَّهِ ﷺ وهو يَبْكى ، فلمَّا رآه رسُولُ اللَّهِ ﷺ قالَ لهُ :

ـ أَخَـذَكَ الْكُفَّـارُ ، فـغَطُّوكَ فى الْمـاءِ ،

فقُلْتَ : كذا وكذا ؟

فأَجابَ عمَّارُ بْنُ ياسرٍ :

ـ نَعَمْ يا رسُولَ اللَّه .

فقالَ لهُ رسُولُ اللَّهِ ﷺ :

ـ إنْ عَادُوا ، فقُلْ لهم مِثْلَ قَوْلِكَ هذا .

ثم تلا عليْه قولَهُ (تعالَى) :

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة النحل : ١٠٥ ، ١٠٦]

اللهُمَّ إنَّا نَبْرأُ إِلَيْكَ مِنَ الشِّرْكِ والنِّفاقِ



وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ والشِّقَاقِ ونؤْمِنُ بِكَ
وَحْــدَكَ ، ونُوالِي مَنْ وَالاكَ ونُعَــادِي مَنْ
عَادَاكَ ، أنْتَ نِعمَ الْمَوْلَى ونِعمَ النَّصِيرُ . .

مِنْ أَسْماءِ سُوَرِ الْقرآن

الفاتحةُ : تسَمَّى بالسَّبْعِ الْمَثَانِى .

الْمائدةُ : تُدْعَى فى مَلَكوت اللَّه بالْمُنْقذَة .

التَّوْبَةُ : تسمَّى الْفَاضِحَةَ والْمُبَعْثِرَةَ .

النَّحْلُ : تسمَّى سورةُ النِّعَمِ .

سورةُ الْمُلْكِ : تُسَمَّى بالْواقيةِ والْمُنْجِيةِ .

سورة النَّصْرِ : يُطْلقُ عليها سورة التوْدِيعِ .

سورة الْبقرة : هى فسْطاطُ الْقرآن .

رقم الإيداع : ٧٩٦٨ / ٢٠٠١

الترقيم الدولى : ١ ـ ٦١١ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧